

## المجالس الأدبية في العصر الأندلسي

### Literary councils in the Andalusia era

د. تقوى سليمان ذياب أبوزيد

دكتوراه في الأدب والنقد القديم ، وزارة التربية والتعليم – المملكة الأردنية الهاشمية

Email: [taqwa.sola@gmail.com](mailto:taqwa.sola@gmail.com)

#### المخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى وصف المجالس الأدبية ضمن حقبة زمنية محددة ألا وهي العصر الأندلسي لتوضح لنا كيف كانت هذه المجالس الأدبية مرآة واقعية لمدى التطور الحضاري والثقافي والأدبي والعلمي في العصر الأندلسي بل كيف كانت شاهدا صادقا على الانفتاح والتحرر في ذلك الوقت، وكانت رافدا تاريخيا وسياسيا يُسجلُ فيها الأحداث والأخبار الاجتماعية والدينية والسياسية على شكل مقطوعات شعرية قصيرة وقصص و أخبار اختلفت بالأمرء والخلفاء الأندلسيين، فسجلت وخلدت مآثرهم وفضائل صفاتهم وأبرز إنجازاتهم، دون أن تغفل ذكرَ بعض ما حدث معهم من حكايات ونوادير وفكاهات ودعابات، فكانت مجالسهم الأدبية وجدانهم النابض، وصوتهم الناطق، ولسانهم المحدث عن مجريات حياتهم على الساحة الأندلسية باختلاف نواحيها، وذلك منذ بداية الدولة الأندلسية وحتى سقوطها، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من العوامل الداعية لوجود المجالس الأدبية ولمجموعة من السمات الفنية التي اتسم بها شعر المجالس، كما أوصت بضرورة دراسة المجالس الأدبية النسوية التي شاعت وذاعت إبان تلك الحقبة نظرا لعوامل الانفتاح والتحرر الذي ساد ذلك العصر.

**الكلمات المفتاحية:** أدب، عصر أندلسي، مجالس أدبية، الحضارة الأندلسية.

## Literary councils in the Andalusia era

### Abstract

This study aimed to describe literary councils within a specific time period, namely the Andalusia era, to show us how these literary councils were a realistic mirror of the extent of civilizational, cultural, literary and scientific development in the Andalusia era, but how they were a witness to the openness and liberalization at that time, and was a historical and political tributary recorded Including social, religious and political events and news in the form of short poems and stories and news that were specific to Andalusia princes and caliphs, and recorded and immortalized their exploits and the virtues of their characteristics and their most prominent achievements, without neglecting to mention some of what happened with them from tales, anecdotes, humor and humor, so Their literary councils sprouted their thumping conscience, and their speaking voice, Their tongue, which is updated on the course of their lives on the Andalusia scene in its various aspects, from the beginning of the Andalusia state until its fall, and the study concluded a group of factors that call for the existence of literary councils and a set of artistic features that characterized the poetry of the councils, and also recommended the necessity of studying the female literary councils that were popularized and broadcast during That era, given the factors of openness and liberalization that prevailed in that era.

**Key words:** literature, Andalusia era, literary councils, Andalusia civilization.

### المجالس الأدبية في العصر الأندلسي:

منذ فجر الدولة الأندلسية كانت المجالس الأدبية شاهداً صادقاً على مستوى الرقي الحضاري والاجتماعي والثقافي الذي وصل إليه المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت، فالمجالس الأدبية ظاهرة متأصلة الجذور منذ القدم بل تعد مرآة واقعية يظهر فيها مدى الغنى الأدبي والثقافي والعلمي والشعري للحقبة الزمنية التي تكون فيها. ولقد حظيت المجالس الأدبية باهتمام المؤرخين الذين سجلوا الكثير من أخبارها في كتبهم ومؤلفاتهم والتي كان أغلبها يتحدث عن أخبار مجالس الأمراء والخلفاء وعلية القوم لما عُرف عنهم من أمر رعايتهم البالغة للشعراء إلى جانب العلماء والأدباء والبلغاء، فكانوا يجعلونهم ندماء يقيمون لهم مجالس للشعر ويشاركونهم قرضه ويُغدقون عليهم الجوائز والأعطيات ويجعلونهم وزراء وسفراء يصاحبونهم في حلهم وترحالهم.

فكان الشعراء بشعرهم اللبنة الأساس في تلك المجالس، كما كانوا جزءاً لا ينفصل عنها في كثير من الأحيان إذ لا يكاد مجلس من المجالس يخلو من شاعر أو أكثر يُسجل بشعره ما يدور فيها ويضفي لمسائه الخاصة عليها، فحرص الأمراء والخلفاء على استدعاء الشعراء والأدباء و منادمتهم مقلدين بهذا أهلهم المشاركة، وسائرين على خطاهم، فكان العديد من الشعراء يقدون على مجالس عبد الرحمن الداخل، كما حفلت مجالس الأمير الحكم بن هشام الرضي بالكثير منهم، واحتفى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) بالشعراء والمغنين احتفاءً كبيراً فكان يعقد لهم العديد من المجالس. (القرطبي، ١٩٩٠، ج ٢، ٣٣٦)

وكان مجلس الأمير عبد الله بن محمد من "أعمر مجالس الملوك للفضائل وأنزهها من الرذائل وأجمعها لطبقات أهل الآداب والتعليم فكانت كل نادرة تدور على الأفواه وتتغلغل في الألسنة لا يستقر قرارها إلا في مجلس مذكراته ولا يفك عويصها إلا بين يديه (القرطبي، ١٩٩٠، ص ٥٥).

وهذا يدل على تنوع أحاديث المجالس وأخبارها، فجمعت شتى العلوم الدينية والدنيوية، وعن ذلك يقول أحد الشعراء في وصفها:

مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائق  
تنزّه فيها أعينٌ وقلوبٌ  
تفجّر ينبوعُ الشريعةِ وسطها  
فأينع عُصنُ العلمِ فهو رطيبٌ  
وأثمرت الأزهارُ زهرَ فوائدٍ  
فريحُ الصبّا عن نشرهنّ تطيبُ

(المقري، ١٩٨٦، ج ٤، ١٢٦-١٢٧)

وتكشف الأبيات السابقة عن ذلك التنوع الموجود في المجالس الأدبية من أحاديث نبوية، ومعلومات عن الشريعة والعلم والآداب وكأن المجالس حدائق تنفجر فيها مياه العلم الصافية، وتثمر بمختلف أنواع الثقافات، وتتنوع فيها أزهار المعارف التي يفوح عطرها في كل مكان.

كما كانوا يقضون الليل كله في مجالسهم دون أن يحسوا بانقضائه، وانكشاف نهاره، وعن ذلك يقول أحدهم:

بتنا ندامى صفاءٍ يُستحثُّ لنا  
في جامدِ الفضةِ التبرُّ الذي سبكا  
لا تعدمُ إذا أبصرتهم فرحاً  
ما ترى الصبّخ من بشرٍ بهم ضحكاً

(المقري، ١٩٦٨، ج ٤، ١٢٦-١٢٧)

ومالت مجالسهم في كثير من الأحيان إلى الدعابة بل كان الأمراء يبلغون مبلغاً عظيماً في الممازحة وإدخال المسرة على مجالسهم، فيروى أن الوزير سليمان ابن وانسوس البربرين وكان وزيراً مذكوراً بالأدب والعلم والعقل وعزة النفس، (الضبي، ١٩٦٧، ج ٢، ص ٣٨٣) دخل يوماً على الأمير عبد الله بن محمد وكان سليمان هذا عظيم اللحية فلما رآه الأمير مقبلاً جعل ينشد واصفاً لحبته:

معلوفةٌ كأنها جوالق  
نكداء لا برك فيها الخالق  
للقلم في حافاتها نقائق

(الحميدي، ٢٢٦، ١٩٦٦)

والجوالق الكيس الكبير من الصوف، وهذا يدل على الروح المرحة وحب الدعابة التي كانت في المجالس والحس الفكاهي الذي كان يشكل نواحيها، وإن كان فيها هنا شيء من المبالغة، وكانت مجالسهم تعجّ بالطرف والمُح والمُح والألغاز والنوادر والحكايات وعن ذلك يقول أحدهم:

تُسِيك حُسْنًا طَرْفَ الْمُتَحْفِينِ  
من حرج إن راح صفر اليمين

(الشنتريني، ٣٩٤، ١٩٧٨)

ومع قدوم الموسيقى زرياب من المشرق وهو موسيقي ومطرب عذب الصوت، تطورت المجالس الأدبية الأندلسية وازداد رقيها وروح تألقها، فصارت المجالس تغصّ بالموسيقى والغناء بل لقد أصبحت بيئة خصبة لتنظيم الشعر وتلحينه بأصوات المغنيين والمغنيات في ظل وجود الآلات الموسيقية والعديد من الجوارى، ويروى أن زرياب غنى يوما بين يدي الأمير عبد الرحمن الأوسط بييتي أبي العتاهية فقال:

مالي رأيتك ناحل الجسم  
أنت العليم بموقع السهم

هل لك يا مولاي في طرفة  
ليس على مرسلها نحوكم

قالت ظلوم سَمِيَةُ الظلم  
يامن رمى قلبي فأقصده

فقال الأمير هذين بيتين منقطعان فلو كان بينهما ما يصلهما لكان أبداع فصنع عبد الله بن فرناس بديهيا بيتا عقد الصلة المفقودة بين البيتين فقال:

مثل الجمال وهي من النظم

فأجبتها والدَمَعُ مُنحدرُ

فأستحسنه الأمير وأمر له بجائزة (المقري، ١٩٦٨ ج ٣، ص ٦١٣).

وهذا أن دل فإنما يدل على أن الأمراء والخلفاء، كانوا يملكون ذائقة شعرية ونقدية ويشاركون فيها النقاد والشعراء ويغدقون عليهم الجوائز والأعطيات كل بحسب إبداعه في مجالسهم التي أقيمت في قصورهم. وكانت مجالسهم تنحو قبيل السمر والمرح والسرور واللهو والغناء، فيروى أنه قد تناهى الطرب بالمنصور وندمائه إلى أن تصايحوا وتراقصوا، فجاء الدور إلى شاعر شيخ متعب الجسد وصف حاله في المجلس ساخرا من ضعف جسده قائلا:

قام في رقصته مستهلكا  
فأنتى يرقصها مستمسكا  
نقرس أخنى عليه فاتكا  
قمت إجلالا على رأسي لكا  
ورأي رعشة رجلي فبكي

هاك شيخاً قاده ود لكا  
لم يطق يرقصها مستتبنا  
عاقه من هزها منفردا  
أنا لو كنت كما تعرفني  
فَهَقَّه الإبريق مني ضاحكاً

(ابن سعيد الأندلسي، ١٩٦٤، ج ٢، ٢٠٥)

ومع ازدياد مجالس الأُنس والسمر والمتعة والفرح عندهم استلزم الأمر اقتناء العديد من الجوارى التي دخلت في مجالسهم الأدبية وأظهرت موهبتها لاسيما الأدبية والشعرية، وبرزت شخصيتها الأنثوية في مجال الغناء والفنون وهذا أمر بدا واضحا بكثرة في مجالسهم فقد ذكر المقري في كتابه نفع الطيب أن الجارية العجفاء غنت في مجلس عبد الرحمن الداخل وهي جارية ذاع صيتها بالإنشاد والغناء وقد اشتراها لذلك، فغنت قائلة:

إذ حل كل الأحبة الحرما  
فاليوم أمسى فراقكم غرما

يا طول ليلى أعالج السقما  
ما كنت أخشى فراقكم أبدا

(المقري، ١٩٦٨ ج ٣، ١٤١-١٤٢)

وها هو عبد الرحمن الثاني يتغزل بجاريته المحظية لديه (طروب) في أحد المجالس فيقول:

فما أقطع الليل إلا نحيبا  
ر طالعة ذكرتني طروباً

(القرطبي، ج ٢، ١٤٥، ١٩٩٠)

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا  
وإما بدت لي شمس النها

ويقع سليمان بن الحكم في حب ثلاث جوارى يقول في وصفهن:

وأهاب لحظ فواتر الأجفان  
زهر الوجوه نواعم البدان  
وهذي أخت غصن البان  
ذل الهوى عزّ وملكُ ثانٍ

(الحميدي، ١٩٦٦، ٢١)

عجبا يهاب الليثَ حدّ سناني  
وتملكك نفسي ثلاثاً كالدمى  
هذي الهلاك، وتلك بنت المشتري حسناً  
لا تعذّلوا ملكاً تذلّل للهوى

وكان لزرّياب جارية اسمها (متعة) أدبها و علمها حتى شبت وكانت رائعة الجمال، فيروى أنها تصرفت بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم في إحدى المجالس تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لإعجابها بها أبدت له دلائل الرغبة فأبى فقالت في ذلك:

من ذا يغطي النهارا  
حتى علقت فطارا  
لي كان، أو مستعارا  
خلعت فيه العذارا

(المقري، ١٩٦٨، ج ٣، ١٣١)

يامن يُغطي هواه  
قد كنت أملك قلبي  
يا ويلتا أتراه  
يا بابي فرّيتني

ونلاحظ هنا الجرأة التي كانت عليها هذه الجارية في مجلس الأمير عبد الرحمن إذ نجدها تصرح للأمير بحبها وتطلب منه الوصل وألا يكتنم هواه بل بيديه.

ومن أخبار المجالس أنه في مجلس الحاجب المنصور كان له جارية اسمها أنس القلوب وكانت ذات مكانة عنده يسمع شعرها ويستمتع دائما لغنائها وقد أخطأت ذات مرة بأمر أمامه فبكت وطلبت الصفح قائلة:

فكيف منه اعتذاري  
ولم يكن باختيارى

(المقري، ١٩٦٨، ج ١، ٦١٧)

أذنبت ذنبا عظيما  
والله قدر هذا

والعفو أحسن شيء يكون عن اقتدار

ويصف أبو عامر في مجلس العامرية جارية لابن شهيد، كانت ساقية صغيرة اسمها أسماء، عجب من مكاببتها على السهر،

والعمل على خدمتهم مع حسن خدمتها فقال:

ملازم للكؤوس راتب.  
وهي لعمري من العجائب  
فقلت لا ترقد الكواكب.

(ابن الأبار، ١٩٦٣، ج ٢، ٨٣)

أفدي أسيماء من نديم  
وقد عجبوا في السهاد منها  
قالوا تجافى الرقاد عنها

وفي مجلس المعتصم بن صمداح، تُقدم جارية أندلسية إليه فأراد اختبارها بعد أن عرف أن اسمها غاية المُنَى فقال لها:

أجيزي: اسألوا غاية المُنَى .... فقالت: من كسا جسمي الصُنَى .... وأراني مُولهاً .....سيقول الهوى أنا

(المقري، ١٩٦٨ ج٤، ٢٨٦).

فأعجب ابن صمداح بجوابها فاشتراها

والإجازة هي أمر يعتمد على حضور الذهن، وتيقظ الفكر، والقدرة على ارتجال الشعر فيبدو كان القسم الأول وما يتبعه من

أقسام قد خرجا من فم شاعر واحد.

ولم يقتصر الأمر على الجوّاري فنلاحظ أن النساء على وجه العموم والجوّاري على وجه الخصوص كن يخالطن الرجال ولم يكن ذلك بالأمر المستنكر بل لقد كان لبعضهن مجالس وصالونات أدبية تقيمها في قصرها مثل ولادة بنت المستكفي، ونزّهون الغرناطية، ومُهَجّة وعائشة القرطبيتين، وغيرهن وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ذلك الانفتاح وتلك الحرية التي كانت في ذلك العصر الأمر الذي انعكس بدوره على مساهمة المرأة الفاعل في تشييد صرح الحضارة والرقي الأندلسي.

وكان الأمراء والخلفاء يطلبون إلى الشعراء أن يقرضوهم رائق الشعر وبديعه وعباً منهم بأهمية الشعر السياسية لتجود قريحة الشعراء غالباً بمدح أصحاب المجالس وساداتها، فمثلاً لم يغفل الحاجب المنصور عن أهمية المجالس الأدبية فكانت مجالسه تجمع العديد من الشعراء الذين كانوا يمدحونه ويكتبون إنجازاته وما حدث في البلاد في عهده بل إنه كان يقول: " العجب من قوم، يقولون بالابتعاد عن الشعراء أولى من الاقتراب، نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أياها يرغب في نشرها " (المقري ١٩٦٨ ج١، ٢٤٥)

فالدافع الأول لدي حب المنصور للشعر والشعراء هو تخليد مآثره وانتصاراته، ونشرها وإذاعتها شعراً، وعلى سنته سار ولده الذي عُرف أنه كان يعقد مجالس كثيرة يدعو فيها الأدباء والشعراء ويشجعهم ويحثهم على وصف انتصاراته " فعندما رجع من غزواته لأحد حصون برشلونة سنة ٣٩٣ هـ جلس مجلس التهئة وأذن للناس، ووصل بعدهم الشعراء والأدباء بما صاغوه من أشعار فأنشد منهم من رسمه الإنشاد، ووضع سائرهم الأشعار بين يديه وأنفض الجمع عن سرور وغبطة وحُبور " (المقري، ١٩٦٨ ج١، ٢٤٥)

وبهذا كانت المجالس للصدح بالانتصارات ونشرها، وإشهار فضائل الصفات والمدائح ورعايتها، وإغداق الهدايا على كل من أصحاب صنعتها، ليستميل الأمير بما تجود به قرائح شعرائه للوب العامة إليه، ويكسب ثقتهم ومبايعتهم لشرعية حكمه بطريقة غير مباشرة، فكان للمجالس الأدبية بهذا أغراضاً سياسية لجأ إليها بعضهم.

وفي ظل النهضة العمرانية وبراعة العمارة الإسلامية وزخرفتها كان للمجالس نصيب الأسد في العناية بزخرفها وبنائها فقد اهتم الخلفاء والأمراء ببناء المجالس إلى جانب بناء القصور والحدائق والحمامات والبرك والأماكن العامة فقد حوى قصر الخليفة الناصر مجلساً أطلق عليه (مجلس الذهب) وسمي بذلك لكون قيته وحيطانه قد صفحت بهذا المعدن النفيس، وقد جعل في هذا المجلس حوض عجيب أقيمت عليه التماثيل من الذهب المرصع بالدرر النفيسة، مثل صورة للأسد والغزال والتمساح والثعبان والعقاب والفيل والحمامة وكلها تمجّ بالماء من فيها في الحوض وكذلك مجلس العامرية ومجلس ابن صمداح. (الأدب الأندلسي، أحمد هيكل: ١٨٣-١٨٤)

وفي عصر ملوك الطوائف، قامت ممالك كثيرة وطوائف متعددة فاستفحل أمر المجالس الأدبية من انصراف إلى الملذات والترف والمجون، لما لازم هذه الحقبة من فساد في الأخلاق وانفتاح وحرية، فقد انفرط عقد العرب بزوال عصر الإمارة والخلافة، وانتشرت الفتن وعمت الفوضى وتقاتل العرب والمسلمون فيما بينهم وتفرقوا وانتشرت بينهم روح الطائفية والفرقة والفتنة.

وكان من سماتهم أنهم بالغوا في البذخ والإسراف في زخرفة وهندسة قصورهم وحدائقهم ومنحوتاتهم ورسوماتهم ونوافيرهم وسواقيهم وبركهم فأغدقوا على أنفسهم وعلى زوجاتهم وعلى أبنائهم وهذا أمر طال مجالسهم فنال الشعراء في عصرهم حظوة بالغة، فأجزلت لهم العطايا، وأغدقت عليهم الأموال، وقامت على شعرهم المجالس الأدبية والغنائية.

كما انتشرت مجالس السمر والأنس - وكل ذلك بلا ريب - انعكس أثره على أفكار الشعراء وأخيلتهم وأساليبهم ولغتهم من كلا الجنسين على حد سواء، وهذا الوضع يظهر جلياً في أشعار الأديباء والأدبيات، فغدت آثارهم الشعرية صورة صادقة لحالهم وما يجري في تلك المجالس من إسراف في شرب الخمر ووصف السقاة من الغلمان والفتيات وكان للشاعرات حضور واضح في تلك المجالس، ولعل ملوك الطوائف كانوا يدركون ان أمرهم لن يدوم فمالوا إلى اللهو والملاذات والترف والمجون وبناء القصور واقتناء الجوارى، ويقول أحد شعرائهم عن هذا:

مجالس يُرضي العينَ إفراطاً حُسْنِهَا	كأن حناياها حواجب خردٍ
على عمد للدرّ أبشار بعضها	وأبشار بعض حُسْنِهَا للزبرجدِ
وأخرى مُقَانَاةُ البياض بحمرةٍ	كجمر الغصّاء في لونه المتوقدِ
ولابسةً وشياً كأن رقيّة	رقيق الهشامي العتيق المُسرّدِ

وقد كان لكل مملكة من الممالك والطوائف حاشية من الأديباء وبطانة من الكتاب والشعراء ومن أهم ملوك الطوائف اللذين اهتموا بالشعر بنو عباد، فقد ضم بلاطهم عددا كبيرا من مشاهير الشعراء "وكان لا يستوزر وزيراً إلا أن يكون أدبياً شاعراً حسن الأدوات فاجتمع له من الوزراء والشعراء ما لم يجتمع لأحد قبله" (جرار، ٢٠٠٧، ص ٣٣)

ومنهم أيضاً بنو صمادح وبنو الأفتس وبنو ذي النون وبنو هود وكانوا يُقربون الشعراء والعلماء "ولقد خُلد فيهم الأمداح ما لو مدح به الليل لصار أضواً من الصباح" (ابن الأبار، ١٩٦٣، ج ٢، ص ٨٣).

ولقد كان المعتمد بن عباد "أندى الملوك راحة وأرجاهم ساعة وأعظمهم ثماراً وأرفعهم عماداً ولذلك كانت حضرته ملقى الرجال وموسم الشعراء وقبلة الآمال" (ابن خلكان، ١٩٧٨، ج ٥، ص ٢٤) وقد عرفت هذه الأسرة بحب الأدب والشعر ورعايتها للأديباء والشعراء.

أما بنو الأفتس فكان المظفر بن الأفتس من أحرص الناس على جمع علوم الأدب خاصة من النحو والشعر ونوادير الأخبار وكانت أيامه أعياداً ومواسم وكان ملجأً لأهل الآداب ولقد أناخت الآمال بحضرته وشدت رحال الآداب إلى ساحته، في حين كان بنو صمادح ملوك الراية وأشهرهم "المعتصم بالله كان حصيف العقل.... يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ويجلس في كل يوم جمعة للفقهاء والخواص." (ابن الأبار، ١٩٦٣، ج ٢، ص ٨٣).

وكان المأمون يحيى بن ذي نون أشهر ملوك بني ذي النون مُكرماً للعلماء ومقرباً للأديباء، وأبو حزم بن جهور من بني ذي جهور كان يجمع الشعراء في بلاطه في قرطبة وبني حمود في مالقة استقطبوا طائفة من الشعراء في بلاطهم. (جرار، ٢٠٠٧، ص ٣٧)

ومن أخبار المعتمد بن عباد في مجالسه في القبة المعروفة سعد السعود فوق مجلس الزاهي في أحد قصور المعتمد أنه صنع قسماً وطلب من الشعراء إجازته فقال أحدهم: سعد السعود يتيه فوق الزاهي .... فعجزوا إلا ابنه عبد الله بن الرشيد فقال:

سعد السعود يتيه فوق الزاهي	وكلاهما في حسنه متناه
----------------------------	-----------------------

(حميدة البلداوي، قراءات أندلسية، ٦٤)

وكان الناصر والمستنصر يشاركان في مجالس الأدب ويساجلان الشعر حتى أثر عن أحدهم قوله:

السنا بني مروان كيف تبدلت  
بنا الحال أو دارت علينا الدوائر  
إذا ولد المولود منا تهللت  
له الأرض واهتزت إليه المنابر.

(الأندلسي، ١٩٦٤، ج ١، ١٩٠)

والمعتمد في مجلسه الذي يضم عددا كبيرا من مشاهير الشعراء والكتاب يطلب من أحد الشعراء أن يذيل له بيته الذي قال فيه أوله: بعثنا بالغزال إلى الغزال وللشمس المنيرة بالهلال .... فكان قد أمر بصنع غزال من ذهب وهلال من ذهب أهدى الأول إلى زوجته والثاني إلى ابنه الرشيد وأحب أن يذيل بيته بأبيات أخرى فأجابه إلى ذلك أبو القاسم مرزقان وقد حضر مجلسه قائلا:

بعثنا بالغزال إلى الغزال  
فذا سكني أسكنه فؤادي  
وللشمس المنيرة للهلال  
وذا تجلي أقداه المعالي

(ابن الأبار، ١٩٦٣، ج ٢، ٨٣)

وفي (مجلس ابن ذكوان) وقد جيء فيها بباكورة باقلاء وهي زجاجة خمر فقالوا: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن شهيد فيها قصيدته التي مطلعها:

عن لآليك أحدثت صافا  
جاز ابن ذكوان في مكارمه  
فاتخذت من زمرد صافا  
حدود كعب وما به وصفا

(ابن الأبار، ١٩٦٣، ج ٢، ٨٣)

وفي مجلس الناعور في طليطلة للقادر بن ذي النون، يصف ابن السيد البطليوسي صورة حية لهذا المجلس فيقول:

يا منظرًا إن رمقت بهجته  
تربة مسك وجو عنبرة  
أذكرني حسن جنة الخلد  
وقيم ندي وطش ما ورد  
قادر زهو الكعاب بالعقد  
تراه يزدهي إذا يحل به آل

(ابن الأبار، ١٩٦٣، ج ٢، ٨٣)

وفي عصر المرابطين نلمس النشاط الأدبي في مجالسهم الأدبية بالرغم من انتشار الفتن والحروب في هذه الحقبة الزمنية إلا أن النشاط الأدبي في المجالس الأدبية استمر وإن لم يحظ بالرواج الذي كان عليه في الحقبة السابقة عن ذلك يقول الشاعر الأعمى التطيلي:

أيا رحمتا للشعر أقوت ربوعه  
وللشعراء اليوم ثلث عروشهم  
على أنها للمكرمات مناسك  
فلا الفخر مختال ولا العز تامك

(الأعمى التطيلي، ١٩٦٣، ٩٠)

وتميزت مجالسهم بتقريب الفقهاء على حساب الشعراء وعن ذلك قال أحدهم:

فملكتمو الدنيا بمذهب مالك  
وقسمتمو الأموال بابن القاسم

(المراكشي، ١٩٧٨، ٢٥٢-٢٥٤)

أما في عصر الموحدين فقد اشتهر هذا العصر بكثرة انتشار المجالس الأدبية ومجالس اللهو والمجون والغناء التي كانت تعقد إما في قصور الخلفاء والأمراء والولاة وإما في منازل الأدياء وحدائق بيوتهم أو حتى الحدائق العامة فقد كان للترف الاجتماعي الذي شهدته هذه الفترة آثار إيجابية على المجالس كما زخرت هذه المجالس بتغليب وجود العلماء الذين اعتبر وجودهم ووجود المجالس مظهرًا من مظاهر أبهة الحكم في ذلك الوقت.



وقد نحت مجالسهم نحو الطبيعة والجلوس فيها فعندما قفل المنصور بن يوسف الموحد عائدًا من انتصاره في غزوة الآراك سنة ٥٩١ هـ، جلس الوفود في قبة مشرفة على النهر الأعظم وأذن لهم فدخلوا عليه على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم، فأنشده الشعراء الكثير من المدائح. (المراكشي، ١٩٧٨، ٣١٠-٣١١).

وكان عبد المؤمن بن علي محباً في الآداب مؤثراً لأهلها يهتز للشعر ويثيب عليه، فاجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتّاب عصابة ما اجتمعت لملك من بعده. (المراكشي، ١٩٧٨، ٣٢٧).

وفي عصر بن الأحمر سار هذا العصر على خطى سابقه فكان للمجالس الأدبية في هذه الحقبة الزمنية وجود وحضور عند بني الأحمر بل إن معظم هؤلاء الملوك كانوا إما أدباء أو محبين للأدب، فمثلاً كان محمد الأول (ت ٦٧١ هـ) يعقد مجلساً أسبوعياً لوزرائه وكتابه وقصائده وشعره وكان يستمع إلى إنشاد شعرهم، بل إن معظم وزرائه وكتابه كانوا من طبقة الشعراء. (ابن الخطيب، ١٩٧٧، ج ٢، ٩٥).

وكان محمد الثالث، شاعراً يعقد المجالس للشعراء وكانت أيامه أعياد فكان أكثر شعرهم في وصف الأعياد والمناسبات الرسمية والدينية، وكذلك يوسف الثالث ابن الأحمر، وهو شاعر مشهور يجتمع في بلاطه عدد كبير من الشعراء. (جرار، ٢٠٠٧، ٤٩).

ونلمس هنا من خلال هذه النماذج مدى اهتمام الأمراء والملوك والخلفاء بالشعراء ومجالس الشعر من حيث إقامة المنافسات فيما بينهم وامتحانهم واختبار قدراتهم والاستماع والتأنيق بأدبهم فكانوا من المحفزين والمنشطين لهم، وقد غلب على هؤلاء الحكام والملوك أن كانوا هم أنفسهم أدباء من عند عبدالرحمن الداخل فالحكم ابن هشام فعبدالرحمن الأوسط فعبدالله بن محمد فعبدالرحمن الناصر وابنه الحكم فالحاجب المنصور ف الأمير سليمان المستعين ف المرتضى ف المتوكل وغيرهم من ملوك الطوائف من عند بني عباد فبني الألفس فبنو صمادح فبني ذي النون فبني ذي جهور، إلى عهد ملوك الطوائف والموحدين وبني الأحمر، على اختلاف المجالس الأندلسية مثل (مجلس الذهب) في قصر الزهراء في عهد الخليفة الناصر، ف(مجلس الزاهي) عند المعتمد بن عباد، ف(مجلس الناعور) في طليطلة للقادر بن ذي النون، ف(مجلس العامرية) في العامرية، ف(مجلس ابن ذكوان) و(مجلس الزاهي) و(مجلس سعد السعود) إضافة إلى بعض المجالس النسوية منها مثل: مجلس ولادة بنت المستكفي، ونزّهون الغرناطية، ومُهجة وعائشة القرطبيتان. فكان بهذا لهؤلاء الحكام والخلفاء والأمراء أثر في إنارة شعلة المجالس التي سطع فيها نجم الشعراء والأدباء والعلماء، كما كانت مسرحاً لكتابة الكثير من الكتب، والتراجم. فأضاءت تلك المجالس نبراس الحضارة على درب الزمن في العصر الأندلسي، وللمجالس الأدبية مجموعة من العوامل التي ساعدت على ازدهارها وانتشارها يمكن أن نلخصها ونوجزها بـ:

- إن التنافس الذي كان بين ممالك الطوائف لم يقتصر على السلطة والجاه والمال وسواها، بل شمل العلوم والآداب فكانوا يتنافسون على مشاهير الأدباء، وفحول الشعراء، وكانوا يحاولون جذبهم إلى مجالسهم بإغداق الأموال عليهم ومنحهم العديد من الجوائز.
- حرص الأدباء على تجويد كتاباتهم ونظمهم والارتقاء بها حتى ينالوا الحظوة عند الملوك، الأمر الذي أدى إلى رواج سوق الأدب.
- كثرة الممالك حيث زادت عن ثمان وعشرين مملكة مما أدى إلى ازدياد المجالس الأدبية بدوره، فكل مجلس حاشية من الشعراء مما أدى أيضاً إلى ازدياد فرص الشعراء والأدباء للالتحاق بمجالس الملوك بل وقد ينتقلون بين قصور الملوك ومجالسهم فينالون ردهم وعطاياهم.
- وعي الملوك بأهمية وجود الشعراء فأقاموا لهم المجالس وجعلوا لهم فيها نصيب الأسد ليحفظوا بشعرهم إنجازاتهم وانتصاراتهم وأمجادهم فيمنحونهم ويهجون أعداءهم.
- ميل ملوك الطوائف إلى التحرر والانفتاح وإطلاق الحريات وفسح المجال للمواهب، وفتح الباب أمام تيار المرح واللهو الأصيل وكانت المجالس خير متنفس لهذا.

- إن بعض الأسر الحاكمة في هذه الممالك كانت من أهل الفصاحة والبلاغة والأدب وكان لأفرادها مشاركة في نظم الشعر وكتابته، ولهذا كانت ترغب بفطرة حبها للشعر إلى إقامة المجالس الأدبية في قصورهم واجتماع الشعراء والأدباء فيها.
- دخلت المرأة في العصر الأندلسي من أوسع أبواب الأدب والشعر والفن في المجالس الأدبية، فاختلطت بالرجال بل لم يخلو مجلسا منها سواء أكانت جارية أم حرة، مما يدل على الانفتاح الحضاري والنظرة المتحررة للمرأة، الأمر الذي خلف بدوره حصيلة شعرية نسوية وفيرة صالحة للدراسة.
- كما أن لشعر المجالس سمات فنية نوجزها بقولنا:
- إن شعر المجالس في أغلبه يقوم على البديهة والارتجال في كثير من الأحيان ولا يتطلب ذلك التصنع والتكلف، كما أنه يدل على أن الشاعر يملك ملكة البراعة والأصالة والموهبة.
- تقوم تلك الأشعار على ملكة اللسان وذلك الاقتدار اللغوي المتأني من الثقافة الواسعة والحفظ الغزير لدواوين الشعر.
- مالت المعاني والألفاظ إلى السهولة والطرافة في تناول فليس هناك من إغراق أو تعقيد أو عمق وقد عوض عن هذا بزخرفة اللفظ وموسيقيته ولعل هذا يعود لأن هذه المقطوعات قيلت في مجالس غنائية.
- غلب على أسلوب الشعر تلك الصيغة الحوارية التي دلت على أنه نُظم في حضره اللقاءات المجلسية.
- اتسم الشعر بالتلاحم والترابط خاصة عند الإجازة الشعرية والتنزيل والوصل وكما لو كان الجزئيين يصدران من فم شاعر واحد.
- كانت الصورة الشعرية غالبية في مقطوعاتهم وكانت سمتها أنها بصرية متوافقة مع كون هذا الشعر يتجاوب مع ما يشاهده الشاعر من محفزات طبيعية حية أو جامدة، وكان المعجم الصوري للألفاظ مستند على ألفاظ حية مليئة بالألق واللمعان.
- مالت الألفاظ في كثير من الأبيات إلى الدعابة وإكمال المسرّة بمبادرة شعرية حقيقية فيها مراحة لا تخلو من تنشيط الذهن، وكذا لَمَاح، ووفرة فنية، وقد سم أهل الأندلس بأنهم بغداديون في ظرفهم وجودة قرائحهم، وإن هذا الظرف يبدو كالغريزة فيهم.
- تتناول شعر المجالس كافة مواضيع الشعر من مدح، ووصف، وتهنئة، وغزل، وإجازة.

## المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (١٩٦٣). *الحلة السيرة*، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (١٩٧٧). *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٧٨). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت. \*الأندلسي، ابن سعيد علي بن موسى (١٩٦٤). *المغرب في حلى المغرب*، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
- جرار، صلاح، (٢٠٠٧). *قراءات في الشعر الأندلسي*، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، عمان.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن قنوح (١٩٦٦). *جنوة المقتبس في نكر ولاية الأندلس*، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- السيوطي (١٩٧٩). *بغية الوعاة*، دار الفكر، ط٢، القاهرة.
- السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٦). *نزهة الجلساء في أشعار النساء*، دراسة وتحقيق وتعليق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة.
- الشنتريني، ابن بسام، (١٩٧٩). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (١٩٦٧). *بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، دار الكتب العربي، القاهرة.
- العلي، فريد (٢٠٠٩). *تجليات الحضارة في الشعر الأندلسي*، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، عمان.

- القرطبي، ابن حيان (١٩٩٠). **المقتبس في أنباء أهل الأندلس**، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب.
- القرطبي، ابن حيان أبو مروان (١٩٦٥). **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت.
- المراكشي، ابن عذاري، (١٩٨٥). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، ط١، دار المغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- المراكشي، عبد الواحد، (١٩٧٨). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط٧، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- المقرئ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (١٩٦٨). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

جميع الحقوق محفوظة © 2020، الدكتورة: تقوى سليمان ذياب أبوزيد ، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)